عصير الكتب
قصة قصيرة
تميمة الخلود
أصيرة زقزوق

قصة: تميمة الخلود

للكاتبة: أميرة زقزوق

تصميم غلاف: محفوظ أحمد

بخطوات متعثرة وأنفاس لاهثة، قطعت قدماها النحيفتان الممر الطويل بتوجس، متلفتة حولها من حين لآخر.. انسلت مسرعة من الباب الخلفي للقصر الملكي، تناهى صوت "آرام" لمسامعها من خلف السور، فهدأت ثورة قلبها قليلًا لتحل به بعض الطمأنينة. نادت اسمه فخرج صوتها مهزوزًا، لكن بالرغم من ضعفه فقد سمعه "آرام" واضحًا جليًا، ليمسك بالحبل المصنوع من ورق البردي ويلقيه لها من فوق السور. تطلعت خلفها للمرة الأخيرة بقلب يكاد أن يتوقف لسرعة دقاته المجنونة، نظرت للحبل بإصرار، وبشجاعة حاسمة كانت قد عقدته حول خصرها، ليبدأ "آرام" بسحبها من الجانب الآخر للسور.

تلقفها ما إن قفزت من فوق السور، ليركضا نحو العربة التي تنتظرهما، وبغير اتفاق مسبق، قفز "آرام" ليتوجه بالعربة إلى "منف"، حيث يفترض أنهما يودان الهرب من بطش الفرعون وابنته، وقفزت الفتاة بالمقعد الخلفي لتُفاجأ بوجود شخص آخر غير رفيقها.. كادت صرخة فزعة

تخرج من حنجرتها، بيد أن ذلك الآخر، "حور"، عاجلها بوضع يده فوق فمها.. حاول تهدئة فزعها، وقال بصوت جاهد ليخرجه بأكثر نبرة رقيقة تجود بها حنجرته:

- اهدئي أرجوكِ، فأنا قريب "آرام"، أود الهرب معكما.

كانت نظراته صافية حملت لقلبها نسيمًا باردًا أطفأ لهيب الفزع به، حين وجدها ساكنة، سألها بترقب:

- أما زلتِ خائفة؟

حركت رأسها نافية، فحرر فمها ببطء ونظره مثبت فوق ملامحها التي بدت كأنها لوحة فنية مرسومة. كيف للبراءة والأنوثة أن يجتمعا معًا بهذا البهاء؟

ضرب عقله صوتها المميز:

- ولمَ تود الهرب؟

حملق في عينيها البريئتين لحظات، وشعر بشعاع غير مرئي ينتشر منهما ليسلبه لبه دون أدنى مجهود منها أو مقاومة منه. أجابها وقد راق له قربها منه:

- أسمعتِ عن حادثة عودة الفرعون للحياة؟

ضحكت بغنج، وتأملها ببلاهة تقول من بين ضحكاتها:

- وكيف بربك لا أسمع عنها إذ كنتُ وصيفة ابنته، بالإضافة إلى أن المملكة برمتها قد سمعت بهذا؟

حكّ رأسه الأقرع مستشعرًا مدى غبائه في نظرها، ليقول بصوت دامٍ وملامح تلبسها الحزن:

- كانت أمي خادمة لدى زوجته الملكة "سحم-آس".

لاحظته "ميريت" وهو يبتلع غصة وقفت بحلقه قبل أن يكمل بنبرة غلفها الألم:

- استعملت ابنته، الأميرة "حتحور" دماءها في التعويذة التي استخدمتها لرجوع روحه.

تعجبت "ميريت" إذ دق قلبها وجعٌ حين استشعرت الألم بصوته.. بدا عليها شيء من الاضطراب، لاحظه حور قبل أن تسأله:

- ولمَ تهرب؟ أليس من الأولى أن تظل هنا للانتقام أو العثور على جثة والدتك؟

دق قلبها حين لمحت الألم بعينه يتحول سخطًا، أجابها بعروق تكاد تنفجر إثر ثورة الدماء بها:

- بـ"منف" أعرف ساحرًا سيعلمني أصول السحر، فقط حينها سأنتقم!

تطلعت إليه "ميريت" تنتظر سماع خطته في الانتقام، بيد أن نظراته كانت شاردة بعالم آخر.. عالم لم تكن "ميريت" بداخله. زفرت بضيق، فرنا إليها وكأنما انتشله حسنها من ثورته، سألها بنبرة محمولة على كف الفضول:

- وأنتِ لمَ تهربين إن كنتِ وصيفة الأميرة "حتحور"؟

تاهت نظراتها ووجمت ملامحها، قبل أن تجيب بعد صمت طال، كأنه ألقى عليها سؤال من الخيال:

- لأنهم يريدون تقديمي كقربان.

****

وقفت العربة أمام شاطئ النيل كي يمنحوا أجسادهم شيئًا من الراحة.. أسندت "ميريت" رأسها على العربة، تتأمل الرجلين معها وهما يهيئان مكانًا للنوم بأن اجتهدا بوضع طين مجفف كي يمثل أرضية مريحة لثلاثتهم، اختفى "آرام" يبحث عن بعض من القرميد هنا أو هناك، بينما ألقى "حور" بجسده المنهك فوق الأرضية التي صنعاها.

وكأن عقربًا قد لدغه، اعتدل كالملسوع جالسًا، ونظر لـ"ميريت" التي كانت تراقبه بنظرات عجز عن فهمها، إذ شعر لوهلة أنها كائن آخر يتأمله، لكنه سرعان ما ضرب بخيالاته عرض الحائط حين لمح لمعة عينيها العسليتين تحت ضوء القمر.

كأنما سمعت دعوته الصامتة، اقتربت منه بخطوات رشيقة لتجلس بخفة إلى جانبه، قالت ونظراتها مثبتة فوق مياه النهر ريثما عينيه مثبتتان فوق ملامحها البريئة:

- إني جاهزة الآن لأجيب أسئلتك التى أراها بعينيك. تنطق بها عيناك.

رفع حاجبيه وقال مبتسمًا:

- لستِ جميلة فقط، بل ذكية أيضًا.

التفتت له وبسمة خفيفة تزين ثغرها، فبدت له ملامحها أكثر جمالًا، ليقول بلسان متلعثم:

- أخبريني ما الذي حدث؟ ولمَ تكونين أنتِ القربان؟

التفتت للنهر ثانية حين جاء "آرام" خالي الوفاض ليصرخ محتجًا بأنه لم يجد أحدًا بهذه القرية ليساعده.

بدأت "ميريت" تقص ما مرت به تحت نظرات "حور" المهتمة، كأنما لم ينتبها لوجود "آرام" من الأساس:

- حين مات الفرعون اهتزت لموته المملكة، ولم تطق ابنته فراقه. كانت ملمة بأمور السحر وتمارسه ولكنها وقفت عاجزة أمام مرض أبيها، وحين مات، كانت لها الطامة الكبرى، لكنها لم تتعلم الانصياع لإرادة الآلهة.. أخبرتها أمها ألا تحزن، فوالدها سيذهب للحياة الأخرى تحت رعاية الإله "أوزوريس"، بيد أنها لم تخضع لرغبة الإله "أنوبيس"؛ فبرأيها كان الأمر معركة بينهما، وإن تراجعت عن روح والدها ستكون الخاسرة.

تنهدت "ميريت" بأسى قبل أن تكمل:

- جاهدت لتعلم السحر أكثر، ولعزيمتها اللامتناهية، وإصرارها العارم، تمكنت من التوصل لتعاويذ تتواصل من خلالها مع روح الإله "أوزوريس".

شعرت "ميريت" باضطراب "حور" الذي حاول إخفاؤه.. تجاهلته لتكمل حديثها:

- كان أمامها خياران، إما أن تذهب مع أبيها للعالم الآخر، وإما أن تعيده لعالمنا، ولكن بشرط أن تقدم قربانًا للإله "أوزوريس" يختاره هو، بأن يبعث لوالدها روحه ومعها ورقة بردي كُتب عليها اسم إحداهن بالدماء.

أردف حور يكمل حديثها:

- وكان الاسم اسمكِ أنتِ.

أومأت برأسها أن نعم.

جفل "حور" حين وجد "ميريت" تسند رأسها على صدره العاري لتجهش بالبكاء، وهي تتلفظ بأشياء غير مفهومة كما لو أنها تعويذة لم يستطع فك أحجيتها، وربت على شعرها بحنان وقلبه يتألم لهذه الطفلة بجسد أنثى تبكي بداخل صدره، دون أن يملك شيئًا ليفعله من أجلها.. كاد يضمها أكثر لصدره، لكن صاعقة انتشرت بجسده فجأة حين نظرت إليه نظرة بدت بعيدة عن براءتها كل البعد وفمها لا

يتوقف عن قول ما لا يفهمه، بدت له كأنما أصابها مس من روح شريرة.

ولكن عقله جن حين وجد نفسه فجأة داخل غرفة وثيرة، يقف أمام جسد الفرعون المسجى أمامه يحيطه عدد من الأطباء في أوائل عملية التحنيط، أدرك ذلك حين رآهم يخرجون مخه من خلال فتحتيّ أنفه، وقبل أن يستوعب عقله شيئًا كان وجهًا لوجه مع الأميرة "حتحور"، التي كانت تتلو تعاويذ بدت مألوفة الوقع على مسامعه.

ماج السخط بصدره، وحرَّكه الغضب لينقض عليها، لكنه تسمر مكانه وتيبست يداه فوق عنقها، حين تبدلت ملامحها فجأة لتحل محلها ملامح "ميريت"، وهي تنظر إليه نظرة مستجدية جعلت قلبه يثب هلعًا.

احتضنها بحب جارف ليرى الأميرة "حتحور" وهي تفر داخل ممر طويل ظهر أمامه من العدم.. كاد يلحق بها لكن "ميريت" استوقفته وهي تحاول بكل قوتها نزع القلادة التي

تزين عنقه.. همَّ بخلعها كي يتمكن من ملاحقة الأميرة، لتذهب أنفاسه وتُجن ضربات قلبه حين يبصر "ميريت" تتحول للأميرة مرة ثانية، ويشاهد الأميرة التى تهرب من الممر تتحول إلى "ميريت"!

- "ميريت"!

صرخ باسمها وهو يعتدل بجلسته، ليجد نفسه بجوار "آرام" الذي لم يتخلَّ عن نومه بعد، تلفت حوله ليجد "ميريت" تتقدم نحوه تزين ثغرها ابتسامة عذبة، وبصوت أكثر عذوبة تقول:

- لم أكن أعلم أن صوتي يحمل خدرًا يجعل المستمع يذهب في النوم هكذا!

بحث في وجهها عن بقايا بكاء، واضطرب عقله حين لم يجد سوى البهجة التى أضافت لجمالها جمالًا.. سألها بترقب:

- لمَ كنتِ تبكين هكذا بالأمس؟

رُسمت عقدة بين حاجبيها الرفيعين وهي تجيبه بأنها لم تبكِ.

زادت حيرته وهو يتذكر حلمه العجيب ليضع يده فوق صدره بتلقائية فيجد قلادته بموضعها، تذكر والدته وهي تهديها له موضحة أنها تميمته التى تحميه من الشرور خاصة السحر. سمع صوت "ميريت" الذى بدا كأنه الخلاص لروحه المُتعبة:

- لقد قايضت هذا السمك ببعض من القمح وجدته بالعربة.

تلقف الأسماك منها مبتسمًا وهي تردف:

- عليك بشوائها إذن.

ابتعد بخطواته باحثًا عن حجارة يشعل بها النار، وحينما كان يحك الحجارة شرد ذهنه في حلمه ليتساءل ما معنى أن تظهر الأميرة و"ميريت" معًا بهذه الطريقة!

توقف فجأة حين تذكر أن ما قالته "ميريت" أمس بصدره من كلمات لم يفهم معناها، هي نفس الكلمات التي قالتها

الأميرة بحلمه. هرع إلى حيث "ميريت" ليجدها تنظر إليه بعينين رسمتهما البراءة، التى وخزت قلبه وخزًا.

سألته بنبرة عذبة:

- أين السمك؟

وجد نفسه منجذبًا للجلوس بجوارها .. شيء ما بها يحبه، يجعله أفضل بمجرد البقاء بجانبها، ألقى بثقل جسده المنهك جوارها، كأنما جاء من صراع ملحمي ويود الهرب لعينيها الصافيتين، وطلب من "آرام" أن يأتي هو بالسمك، فلاحظت "ميريت" شيئًا جديدًا بنبرة صوته. سألته بخوف حقيقي:

- ماذا هناك؟

رنا إليها فاهتز كيانها لما رأته بعينيه، نظرة جديدة عليها لم ترها بعينيّ أحدهم من قبل، نظرة حملت إلى روحها إحساسًا مبهمًا غامضًا مثيرًا، لكنه لذيذ بطريقة ما.. وجاء صوته متلعثمًا مغلفًا بالحيرة:

- أنتِ، ما الذي تشعرينه حين أكون بجوارِكِ؟

همس له قلبه بدقات منتشية حين لمح تورُّد خديها، نظرت لأصابعها المتشابكة بخجل إذ شعرت أنه قد شعر بما أحست به، أجابته بخفوت:

- أشعر بأمان.

التقط يدها بين كفيه العريضتين، ناداها بنبرة بدت جديدة عليها:

- أظن أنني وقعت بحبك.

استطاع أن يلمح ابتسامتها التي زينت وجهها ريثما كانت تنظر للأسفل خجلًا، انتشى قلبه حين أدرك ما يعتمل داخل صدرها من مشاعر متبادلة، لكن نظراته تجمدت، وخفتت دقات قلبه المنتشية فجأة حين لمح تميمته متدلية من جيب فستانها الكتاني!

****

سارت العربة في اتجاهها نحو "منف". كانت "ميريت" مستكينة داخل صدر "حور" الذي ما انفك عقله يعمل بحيرة وتساؤل، ما أرادته "ميريت" بالحلم قد حدث واستولت على تميمته، ولكن لمَ فعلت "ميريت"هذا؟ومتى أخذت التميمة؟ وإن كان الحلم حقيقية فماذا يعني بحق الإله "آمون"؟

جاء صوت "ميريت" كبلبل أفضى على صدره نغمات عذبة لتنتشله من حيرته، كأنما هو خدرٌ لعقله:

- أود شرب بعض الماء، لقد أنهكني العطش.

أوقف "آرام" العربة، وأصرت "ميريت" أن تذهب وحدها دون أن يرافقها "حور"، عللت هذا بعدم رغبتها في إجهاده. راقبها "حور" وهي تختفي من أمام ناظريه في اتجاهها نحو النيل، ثارت هواجسه، وعمل عقله ليقفز من العربة دون أدنى اهتمام لنداءات "آرام".. توجس قلبه وزادت دقاته تزامنًا مع اقترابه من الشاطئ، لمحها منكبة فوق المياه،

فوارى جسده خلف إحدى الشجرات. كانت مولياه ظهرها فظلَّ يراقبها إلى أن انخلع قلبه وتقطعت أنفاسه حين رأى وجهها وقد تحول إلى وجه الأميرة، تشابكت الخيوط وأعمل عقله فتوصل لكل شيء.

لم تكن من أحبها هي "ميريت"، وإنما كانت الأميرة التي توارت بجسدها كي تلقى "ميريت" المسكينة مصرعها نيابة عنها.
تقدم نحوها بفؤاد يغلي وعروق تكاد تنفجر، لا يفكر بشيء سوى الانتقام. لم تُتَح لها فرصة التحول لجسد "ميريت" إذ وجدته فجأة ينقض بجسده على جسدها الضعيف محاولًا إغراق وجهها بالماء، لكنها كانت أسرع منه في ردة فعلها فتفادت هجمته ليقع هو بالمياه لتضع قدمها فوق جسده متمتمة بتعويذة جعلته ضعيفًا كنملة، فصعدت آخر أنفاسه بهيئة فقاعات على سطح المياه، لترخي الأميرة قدمها بقلب ينزف وجعًا، وروح أنهكها الحب!!

جاء "آرام" مع آخر نفس لفظه "حور"، ليتحول إلى "آتوم"، أكبر خادم للأميرة وأقربهم لقلبها.. هو الوحيد الذي يعرف بحب الأميرة لـ"حور"، الأمر الذي لم يكن ليقبله الفرعون، بالإضافة إلى أن كل تعويذاتها كي توقع "حور" في حبها باءت بالفشل بسبب تميمته، وهو ماجعلها تضع خطة تجمع فيها بين الهروب من أن تقدم كقربان، وأن تلتقي ب" حور" وتجعله يبادلها الحب .

داخل منزل "خا-ام"، أكبر ساحر بمدينة "منف" والمعلم الأعظم، وقفت الأميرة أمام جسد "حور" المسجى أمامها بعد أن فارقته الروح، بعين جامدة وجسد متماسك.. قالت بصوت أخفى جل ما يعتمل داخل صدرها:

- ما إن تفارق الروح جسدي، تفعل ما أمرتك به.

انحنى لها "آتوم" مجاهدًا دمعة حارقة ماجت داخل مقلتيه، توجهت الأميرة حيث سلطانية العقار الذي أعدته هي بنفسها، لتتجرعه دفعة واحدة.

هنا صرخ بها "آتوم" كأنما عجز عن ردع نفسه:

- لمَ فعلتِ هذا؟ إن كنتِ تحبينه وبذلتِ كل ما بوسعك للوصول لتعويذة مناسبة من أجل البقاء معه في العالم الآخر، لمَ إذن قتلته؟

نظرت إليه الأميرة باندهاش عجز "آتوم" عن تحديد سببه، أكان لجرأته في الحديث؟ أم سؤاله الذي بدا لها غبيًا؟ حيث أجابته ببساطة:

- لأنني إن لم أقتله لكان قد قتلني يا "آتوم".

تمددت بجسدها النحيف جوار جسد "حور"، وهي تردف دون أن تخفي انكسارها:

- على عكسه، فأنا أحببته حقًا، وجدت بقربه ما عجزت عن إيجاده داخل سنين عمري، أما هو فلا يا "آتوم"، لقد كان حبًا زائفًا، لم يحبني أنا وإنما أحب "ميريت"، لم تُجدِ تعويذتي الأولى نفعًا بسبب تميمته، والثانية كان قد كشف أمري عند النيل بعدما تمكنت من خلعها من رقبته.

تألمت روح "آتوم" وهو يرى سيدته لأول مرة بهذا الضعف ، وخفق فؤاده بحرقة لفراقها.. تأملها وهي تضم جسد "حور" إليها أكثر فأكثر إلى أن أغمضت عينيها استعدادًا للحياة الأبدية، ووضع هو التعويذة جوارها قبل أن يبدأ بما أمرته به من تحنيط كليهما ودفنهما معًا بمقبرة واحدة.

تمت بحمد الله